أ. عبدالحميد عبدوس
كاتب من الجزائر

تقارير

الفكر الأصيل والثقافة النافعة

بمناسبة الملتقى الدولي الاول عن الإمام الابراهيمي

كان قصر الثقافة مفدي زكريا، على مدار يومين (٢٢ و ٢٣ ماي ٢٠٠٥) إسماً على مسمى بحق، حيث تألقت فيه الثقافة، وتواصل علماء الأمة الإسلامية من الجزائر وخارج الجزائر مع جمهور غفير ومتفاعل بحماس، وفهم مع الكلام الطيب والفكر الثاقب، الذي ميز محاضرات العلماء والأساتذة بمناسبة إحياء الذكرى الأربعين لرحيل العلامة المصلح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – عليه رحمة الله – علامة الجزائر وفخر علمائها، بل فخر علماء الأمة العربية والإسلامية، كما عبر عن ذلك أبلغ تعبير فخامة رئيس الجمهورية السيد عبدالعزيز بوتفليقة في رسالته القيمة التي وجهها للمشاركين في الملتقى الدولي الأول عن «الإمام محمد البشير الإبراهيمي» وقرأها نيابة عنه في جلسة الافتتاح السيد عبدالقادر بن صالح رئيس مجلس الأمة.

بدأت جلسة الافتتاح بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، أعقبتها كلمة سماحة الشيخ عبدالرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،

الذي أشاد بتقدير رئيس الجمهورية للعلماء وبرعايته السامية للملتقى ومما جاء في كلمة الشيخ شيبان: «نحتفي اليوم بالذكرى الأربعين لرحيل إمام جليل هو ثاني اثنين مع الامام ابن باديس – عليهما رحمة الله ورضوانه – اللذين عملا على تطبيق المعجزة النبوية في أرض الجزائر، التي يعبر عنها الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقي – عليهم رحمة الله – عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

وشرح الشيخ شيبان هذا الحديث النبوي بما قام به علماء الجزائر وعلى رأسهم الإمام ابن باديس والعلامة الإبراهيمي المحتفى بذكراه من جهود لإنهاض الأمة الجزائرية من كبوتها، وخاصة بعد مرور قرن على احتلال فرنسا للجزائر ودفعها لتوحيد الصف وصقل الوعي وتزكية النفس، وإعدادها لمواجهة المستعمر الغاشم واستعادة السيادة والاستقلال.

أما رسالة رئيس الجمهورية فكانت بحق إشادة نبيلة وشهادة تاريخية منصفة عن العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على ماقام به من جهود في الميادين السياسية والنضالية، والتربوية التعليمية، والدينية الإصلاحية، والتضامنية القومية والإسلامية.

وبعد ذلك صعد إلى منصة الحفل الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، والذي كان كعادته – نجما ساطعا من نجوم الملتقى، وصوتا مدويا يستقطب اهتمام الآذان ويسحر الأذهان، فكانت محاضرته القيمة بعنوان: «مقومات الفكر الإسلامي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، وبعد أن شكر الجمعية ورئيسها الشيخ عبدالرحمن شيبان الذي قال عنه: «... عرفناه في ملتقيات الفكر الإسلامي في الثمانينيات من القرن العشرين: أخا كريما، وصديقا حميما، قبل أن نعرفه وزيرا للشؤون الدينية، ورئيسا للملتقيات الإسلامية.. «وذكر الشيخ يوسف

القرضاوي في مستهل كلمته أنه التقى بالعلامة الإبراهيمي مرتين في القاهرة وأعجب «ببيانه الناصع، وخطابه الرائع، وسعة اطلاعه على الأدب والتاريخ، واستشهاده بحكم البلغاء، وروائع الشعراء ، ووقائع المؤرخين» ثم تحدث عن مقومات الفكر الإسلامي والتجديدي عند البشير الإبراهيمي والتي قسمها إلى خمسة محاور هي:

١ـ الإسلام والعروبة: أساسا ومنطلقا.

٢- الوحدة والحرية (أو التوحيد والتحرير) محورا وهدفا.

٣- التوعية والتربية: منهاجا وطريقا.

٤- العمل الجماعي: ضرورة وشرطا.

٥- الأمة العربية والإسلامية: ساحة وميدانا.

وتميزت الجلسة الصباحية لليوم الأول من الملتقى أيضا، بمحاضرة شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعدالله، الذي قدم بحثا متميزا بالجدة والعمق حول الثقافة التاريخية للعلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واستخلص الدكتور سعد الله أن الشيخ الإبراهيمي، ورغم أنه لم يدرس التاريخ لافي مدرسة ولا في جامعة، إلا أنه كان ظاهرة فريدة بين ابناء جيله في تفسيره العقلاني للحوادث التاريخية.

«ذكرى الشيخ البشير الإبراهيمي» كان عنوان محاضرة فضيلة الشيخ محمد مختار السلامي، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى في تونس، سابقا.

فتحدث عن أثر كتابات الشيخ الإبراهيمي في جريدة «البصائر» على الشباب التونسي المثقف الواعي، تلك الجريدة العظيمة التي كان يقوم بتوزيعها الشيخ الثميني – رحمه الله – كما ركز الشيخ السلامي على خصائص أسلوب الإبراهيمي الذي يمثل أرقى نموذج للكتابة والخطابة في اللغة العربية.

ودعا إلى الاهتمام بآثاره وتدريس نماذج منها في مراحل التعليم المختلفة وتشجيع الطلبة الجامعيين على إعداد بحوث علمية عن الشيخ وإنتاجه.

وتليت في المساء أيضا نص الرسالة التي بعث بها رئيس المجلس الشعبي الوطني السيد عمار سعداني والتي ثمن فيها جهود المنظمين وشكر مبادرتهم في تنظيم الملتقى واعتذر عن عدم الحضور الشخصي وتمنى النجاح والتوفيق لأشغال الملتقى.

أما الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي للشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الإمارات العربية المتحدة – عليه رحمة الله – أبو ظبي، فقد قال أنه فضل الحضور إلى الجزائر للمشاركة في ملتقى الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وفاء بوعد كان قد قطعه للشيخ الإبراهيمي – رحمه الله – قبل خمسين سنة في القاهرة، وكان الدكتور عزالدين ابراهيم يومها في طليعة الشباب الحركي، الحاملين لدعوة الإخوان المسلمين مما سبب له النفي والمطاردة.

قال الدكتور عزالدين إبراهيم: كان المفروض أن أكون اليوم (٢٢ ماي ٢٠٠٥) في إنجلترا لتدشين مركز للعلوم الإسلامية واللغة العربية في جامعة أكسفورد، أقدم جامعة أوروبية (تأسست في القرن الثاني عشر ميلادي) لتنفيذ رغبة المرحوم الشيخ زايد بن سلطان، ولكن دعوة الشيخ عبدالرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي وجهها إليَّ عندما التقينا في دبي جعلتني أؤجل سفري إلى بريطانيا وأحضر ملتقى العلامة الإبراهيمي.

وأضاف الدكتور عزالدين إبراهيم ، كنت أرجو أن يكون الرئيس أحمد بن بلة حاضرا بيننا اليوم لأحدثه عن فتوى الشيخ الإبراهيمي بضرورة الجهاد ضد المستعمرين الفرنسيين.

وكان ختام أعمال اليوم من الملتقى مسكا حيث استمع الحاضرون إلى محاضرة قطب آخر من أقطاب الدعوة الإسلامية، وأحد نجوم ملتقى الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وهو فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (عالم سوريا الكبير) إذ تحدث الدكتور البوطي عن معنى

السياسة عند الإبراهيمي ببعديها الصاعد والهابط وما بينهما، ومقياس الإبراهيمي في الحكم على السياسة هو الضابط الشرعي، وكذلك عن تحذيره من كثرة الأحزاب في الساحة الإسلامية.

وقال الدكتور الشيخ البوطي أن حديث الإمام الإبراهيمي عن شرعية الحرب في الإسلام هو من أدق التعريفات والتي تلخص كل أقوال الفقهاء الثقاة.

أما اليوم الثاني من الملتقى فقد تميز بمحاضرات قيمة، يطالع القراء الكرام عرضا إعلاميا عن محتواها في الصفحة الرابعة من هذا العدد كما سنقوم -- بحول الله – بنشر أكبر قدر ممكن من محاضرات الملتقى.

وقد تخلل محاضرات الملتقى قراءات شعرية لشعراء جزائريين مبدعين نذكر منهم الشاعر زيد الخير والشاعر المبدع مصطفى الغماري والشاعر الكبير محمد بن رقطان.

وكان من بين أشد لحظات الملتقى إثارة للاهتمام واستقطابا للتغطية الإعلامية هي دعوة العلامة سماحة الشيخ الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي من تبقّى من المسلحين للعودة إلى أحضان الشعب، والتخلي عن العمل المسلح والتجاوب إيجابيا مع سياسة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في المصالحة الوطنية والعفو الشامل، كما أعرب الشيخ القرضاوي عن دعمه الكامل لسياسة المصالحة للرئيس بوتفليقة.

واللحظة الثانية كانت عندما طلب الشيخ القرضاوي دائما من جمعية العلماء المسلمين تنظيم ملتقى دوليا عن الإمام الرئيس عبدالحميد بن باديس (عليه رحمة الله) بمناسبة الذكرى السبعين لرحيله، أي في سنة ٢٠١٠.

وقد عقب فضيلة الشيخ عبدالسلام الهراس (من المغرب) على هذا الاقتراح بقوله إنه يفضل أن ينظم ملتقى الإمام ابن باديس في العام المقبل (إن شاء الله) أي في سنة ٢٠٠٦.

وأبدى من جهته الأستاذ الدكتور أسعد السحمراني استعداده، للتكفل بكل مصاريف الملتقى واستعداد لبنان لاحتضانه.

واللحظة الثالثة كانت عندما اقترح سماحة الشيخ عبدالرحمن شيبان أن تعدل التوصيات التي توصل إليها الملتقى بحيث تتضمن التماسا من فخامة رئيس الجمهورية السيد عبدالعزيز بوتفليقة أن يطلق اسم الإمام محمد البشير الإبراهيمي على الجامع الأعظم الذي سينجز في الخروبة بالعاصمة الجزائرية.

ونشير إلى أن الشيخ علي بن حاج قد منع من حضور الملتقى ولم يمكن من اللقاء بعلماء الأمة ومناقشتهم حسب ما تردد من أخبار صبيحة اليوم الثاني من الملتقى (٢٣ – ماي ٢٠٠٥).

لقد حظي الملتقى بحضور لم يسبق له مثيل، حيث ضمت قاعة المحاضرات بقصر الثقافة جمهورا يمثل مختلف مكونات المجتمع الجزائري من مسؤولين سامين في الدولة سابقين وحاليين، وممثلي الطبقة السياسية بمختلف انتماءاتها وخصوصا ممثلي الحركة الإسلامية بكل أجنحتها، وأساتذة جامعيين ومثقفين وطلاب علم وعمال ، ذكورا وإناثا.. جمهور كدنا نيأس بعد السنوات العجاف وفترات القحط الثقافي والجفاف الفكري أن نراه مجتمعا في قاعة أو متابعا لمحاضرة، كما كان الشأن في قصر الثقافة، وحظي الملتقى كذلك بتغطية إعلامية كبيرة ومنصفة.

لقد كان الملتقى بدون شك من الأيام المثمرة في حياة الجزائر ومن الأيام البارزة والمباركة في مسيرة جمعية العلماء المسلمين، وقد دعا أشهر علماء الأمة (القرضاوي ، البوطي، الهراس) الجمهور الجزائري إلى أن يلتف حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى تكون درعا واقيا للجزائر من الفتن.

ولابد في الختام من الإشادة بالجهاد التنظيمي الذي بذلته شعبة العاصمة لجمعية العلماء التي يرأسها الأستاذ مصطفى مراح.